



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

إيران والإخوان (3) الشيعة القطبيون

الكتاب 124 أبريل (نيسان) 2017

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

الإخوان المسلمون وإيران: القاسم المشترك في الخليج

سكينة المشيخ*^{*}

علاقة جماعة الإخوان المسلمين بالدولة الإيرانية، تكتيكية أكثر منها استراتيجية، فثمة قواسم مشتركة تجعل طرفي العلاقة في حاجة حيوية لتنفيذ مشروعات وأجندة توسعية، تلتقي عند فكرة عامة حول الخلافة التي تتطلب انتشاراً دينامياً في الأوساط الشعبية للدول الإسلامية، وذلك ينطوي على استغلال منهجي للمشاعر الدينية للناس، وتوظيف أشواقهم الدينية للوحدة والذهاب بها في مسارات مضللة، تصنع زيفاً كثيفاً حول الأجندة الخفية لخطط التوسع واختراق الحكومات والمجتمعات.

(*) إعلامية وكاتبة سعودية.

أهمية النظر البحثي في علاقة الإخوان بالجمهورية الإسلامية الإيرانية تأتي في إطار دراسة جدوى مشروعات الطرفين، وهي توسعية طالما بقيت فكرة الخلافة وعمومية رسالتهما الدينية التي تثبتها أدبياتهما وتعاليمهما، وذلك بدوره يتطلب عملاً لا بد وأن ينتهي إلى مسارات طائفية لتجيش العامة واختطاف قناعاتهم حول شكل الدولة التي تحكم، والتشويش في قدرتها على تحقيق منجزات طوباوية وغير حقيقية.

والعلاقة بين جماعة الإخوان والدولة الإيرانية عقب الثورة الإسلامية قائمة على مصالح مشتركة قوية، فالجماعة ترى أن الثورة الإسلامية في إيران انتصاراً لرؤيتهم ومشروعهم العالمي، فهي أول حكومة إسلامية في الزمن المعاصر، مما يعزز البرامج والخطط المشتركة بينهما، ولذلك فإنهما في حالة انسجام لم تتعرض لأي ضغط أو تصدع، حيث نجحا في كثير من المواقف والأحداث في تأكيد اتفاقهما، وخلق مزيد من عناصر العداء المشترك لدول المحيط العربي والإسلامي.

لعل حادثة الهجوم على البعثة الدبلوماسية السعودية في العاصمة الإيرانية طهران في 2 يناير (كانون الثاني) 2016، كانت أحد أبرز الأحداث التي أكدت الانسجام المنهجي بين الجماعة وإيران، وذلك يضع عدداً من التساؤلات حول حقيقة العلاقة والقواسم المشتركة، التي تجمع طرفين يعملان على تقديم نفسيهما بصورة مثيرة لكثير من الشكوك حول الأجندة الحاسمة لمصالحهما:

- كيف استطاع الطرفان توحيد أهدافهما على الرغم من التمايز المذهبي؟
- ما المحفزات التي تجعل الجماعة وإيران يبقيان على تماسك علاقتهما؟
- كيف أفادا من تعزيز الطائفية في تمرير الأجندة المتطرفة في المجتمعات الإسلامية؟
- ما فرص استقرار العلاقة بين الجماعة والدولة الإيرانية وتحقيق أهدافهما؟
- ما دور الطرفين في تأزيم العلاقات المجتمعية الداخلية في الدول المحيطة؟

تلك التساؤلات تقود إلى تشريح العلاقة بين جماعة الإخوان والدولة الإيرانية بما فيها من استغلال عقدي ومذهبي، وتوظيفه لصالح مشروعات توسعية من صميم مبادئ وفكر الطرفين، سواء كان ذلك عبر الرؤية العالمية للدين أو استعادة الخلافة، مما يتطلب مراجعات لأمن دول الخليج على الصعيد السياسية والأمنية والمذهبية، لأن توظيف الطرفين للطائفية يخدم مشروعاتهما في الاختراق والتوسع، والإفادة من حدوث أي فوضى تمنحهما نفوذاً غير مستحق يفيد الطموحات غير المشروعة لكليهما.

في الظلام كانت الحقيقة

مع إنشاء الجماعة عام 1928، تم إنشاء الجهاز السري للجماعة، وهو النظام الخاص في عرف الإخوان، ويستهدف احتواء الأفراد الذين يقتربون من الجماعة، دون النظر إلى انتمائهم أو قدراتهم، وفي الوقت ذاته أطلقت الجماعة خطاباً عدائياً وهجومياً أورثها العداء وكشف ازدواجية خطتها وبنائها السياسي والديني، مما عزز الفكرة المجتمعية حول سوءها السياسي، الذي يسعى إلى تخريب الأنظمة السياسية وإرباكها من أجل السلطة والسيطرة على المجتمعات.

تؤكد اللائحة الداخلية لجماعة الإخوان المسلمين هيمنة قائد الجماعة على أفرادها ومشروعاتها، ومركزية القيادة التي تتفق مع مطالب السرية وحماية الازدواجية التي قامت عليها، وطالما هناك مساران للعمل التنظيمي للجماعة، فمن السهولة تقدير وجود تغليف لمشروعات لا تتفق مع أخلاقيات العمل السياسي والاجتماعي، على الرغم من المرجعية الدينية التي تصبح من واقع أداء الجماعة تغطية فكرية ودينية لتضليل الناس، وتجنيدهم؛ من أجل تنفيذ مخططات الجماعة التي تتمتع بمركزية في تحريك العناصر.

تلك اللائحة التي يتضمنها النظام العام للإخوان المسلمين بحسب عام 1994، تشير في مادتها التاسعة المعدلة لعام 1948 إلى أن المرشد العام في المرتبة الأولى في الجماعة باعتباره رئيساً لها، ويرأس في الوقت نفسه جهاز السلطة فيها، وهما: مكتب الإرشاد العام، ومجلس الشورى العام، ويتم انتخابه من خلال مجلس

الشورى العام، وتلك الهيكلية كانت البداية لخداع العامة وتجنيدهم لما يخالف غالب عقائد ودين المجتمعات، مما تطلب تصدياً لمشروع الجماعة، وبيان سوئها الديني والسياسي والاجتماعي.

مع بدء توسع استقطاب الجماعة للشباب المتحمسين للمشروعات الدينية، والبسطاء الذين لا يعون حقائق العمل الديني والسياسي، استطاعت الجماعة أن تتمدد في بلد المنشأ (مصر) بصورة تثير الشك فيما تهدف إليه من تحشيد الناس وراء حزمة أفكار مضللة ومراوغة باسم الدين، فكان أن أصدر علماء الأزهر عام 1954 بياناً جاء فيه: «فهذا نداء من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف، نتجه به إلى الشعب المصري الكريم وإلى سائر المسلمين، وتحت عنوان (التستر بالدين): وقد ابتلي المسلمون في عصورهم المختلفة بمن أخذوا بتلك المبادئ على غير وجهها الصحيح، أو لعبت بقلوبهم الأهواء، فجعلوا منها باسم الدين وسائل يجذبون بها ثقة الناس فيهم، ويتسترون بها للوصول إلى غاياتهم ومطامعهم»⁽¹⁾.

لم يتوقف تبين خطر الجماعة، واتساع نفوذها في الأوساط البسيطة من المجتمعات العربية والإسلامية، فكان أن أدلى عدد من العلماء ببيانات توضح أو تبدي الرأي الديني في هذه الجماعة، التي أصبحت خطراً على استقرار الأمة، ومهدداً ينخر في عقائدها بما يجعلها أكثر هشاشة وإثارة للفتنة، وإضعافاً للعلاقة المتينة بين الحاكم والمحكوم، وذهب العلامة محمد ناصر الدين الألباني إلى إخراجهم من الملة الإسلامية وأهل السنة والجماعة بقوله: «ليس صواباً أن يُقال: إن (الإخوان المسلمون) هم من أهل السنة، لأنهم يحاربون السنة»، فيما قال اليمني مقبل الوادعي في شأن حسن البناء، الذي أثنى عليه من قبل: «وكذا حسن البناء ما كنت ملماً بأحواله، وبعد قراءة ما كتب في بيان أحواله، فإذا الرجل مبتدع زائغ»، وقال الشيخ صالح عبدالعزيز آل الشيخ: «فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتم والخفاء والتلون والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم، وعدم إظهار حقيقة أمرهم، يعني أنهم باطنية بنوع من أنواعها»⁽²⁾.

(1) علي، بن السيد الوصيفي، سر الجماعة، دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012، ص11.

(2) المرجع السابق، ص13.

تنظيم تلك الجماعة لم يكن سليماً في فكرته الأساسية لخير وصالح المجتمع، واستناداً إلى المرجعيات السابقة للعلماء، بإخراجه من الدائرة الدينية الغالبة لأهل الدين، فإنه يتحول إلى تنظيم منحرف، يستوي مع غيره من التنظيمات الإجرامية المنظمة، غير أن خطره أشد لأنه يستهدف بنية العقل الفردي والاجتماعي وعقائد الناس، واختراق أنظمتهم الاجتماعية والسياسية لأغراض لا علاقة لها في المحصلة بخدمة الشعوب، وإنما تفكيكها وتدمير حقوقها الأساسية في الحرية والتطور والنمو، لأن الجماعة لا تمتلك أصلاً مشروعات سياسية واقتصادية جديرة بالاعتبار.

تم بناء تنظيم الجماعة بروح مراوغة، وأصالة مرجعية تعود عميقاً إلى التاريخ حيث تأسس الحركات الباطنية، إذ إنهم درسوا جميع التنظيمات العالمية حين حاولوا بناء النظام الخاص، وقد تأثروا بالفكر الباطني في التاريخ الإسلامي، في تأسيس التنظيمات وما صاحبها من فرق سرية، وذلك كان مصدراً أساسياً تم الرجوع إليه ودراسته، والاستنارة بالأفكار الحركية في كل تنظيم على حدة، وللمفارقة فإن سيد قطب علق على ذلك، بأن أي تنظيم يطبع أفرادَه بصفته، أي إن التنظيم لو كان إجرامياً، لخرج الأفراد مجرمين، وإذا كان صهيونياً خرج الأفراد معجبين بالصهيونية⁽³⁾.

تفسر ازدواجية فكر الجماعة الحالة العنيفة المرجعية في سلوكها، وذلك مما يبيّن اضطراب نهجها منذ التأسيس وهدمها للمبادئ الاجتماعية في التوحد والاستقرار، لتصبح عامل هدم وخطراً على المستقبل الاجتماعي، ومصدر الخطر الأكبر في رؤيتها العالمية - فهي تنظيم عالمي - ظاهره السلامة والرحمة وباطنه الشدة والعنف، أسسه حسن البنا في مصر عام 1928، نظم على نمط التنظيمات الباطنية، وعرف بالضبابية والغموض والسرية - حتى بين أبنائه - واتخذ من الإسلام شعاراً له، وجمع بين التصوف والتكفير، والسلفية والأشعرية، لاحتواء الجميع تحت مظلة واحدة اسمها جماعة الإخوان المسلمين؛ لتحقيق الوصول إلى الأهداف المرجوة المجهولة، بعد الوصول إلى سدة الحكم⁽⁴⁾.

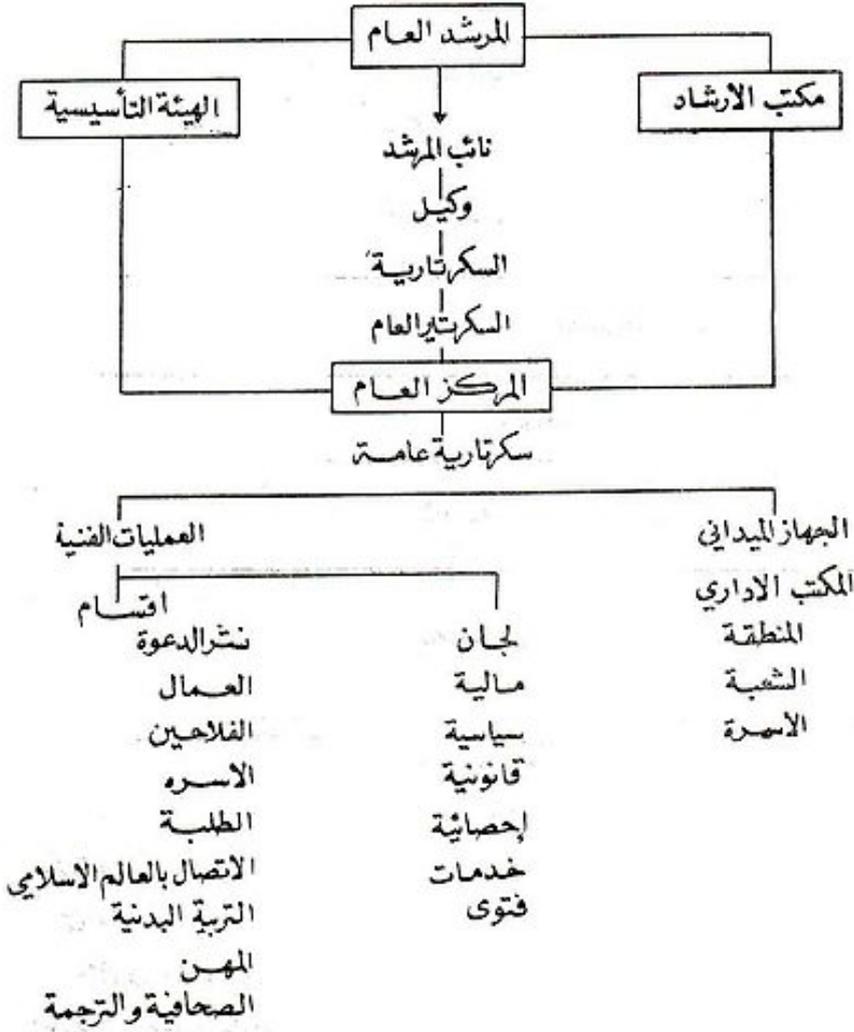
(3) علي، عشاوي، التاريخ السري لجماعة الإخوان، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة، ط2، 2006، ص8.

(4) محمد، ماهر عبد الكريم الخطيب، الإخوان المسلمون، دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012، ص12.

ذلك الاضطراب في المنهج والممارسة وفكر الأفراد، يصبح السمة السائدة التي تستتر خلف السرية والباطنية، وذلك يشهد به شاهد من أهلها، كما في اتهام سيد قطب للإخوان، وهو من مفكريهم، بأمرين -بحسب رواية يوسف القرضاوي- الأول: السذاجة والبله، ونحو ذلك مما يتصل بالقصور في الجانب العقلي والمعرفي. والثاني: الوهن والضعف النفسي والهزيمة النفسية أمام ضغط الواقع الغربي المعاصر، وتأثير الاستشراق الماكر، مما يتعلق بالجانب النفسي والخلقي⁽⁵⁾.

(5) سر الجماعة، مرجع سابق، ص15.

رَسْمُ اِيضَاحِي لِلتَّنْظِيمِ



الميكانيكية الدينية والمزايدات العقدية

يظل تنظيم جماعة الإخوان المسلمين أحد التنظيمات الباطنية التي أضرت كثيراً بوحدة الأمة الإسلامية، واستغلال الدين في مشروعات غير سليمة، لا تتفق مع

المسارات الطبيعية لاستقرار الشعوب والمجتمعات، كما أنه يقوم على أسس تنظيمية صارمة أسوة بما فيها المخدرات والجرائم عابرة الحدود. وتكشف شهادات كثير من الذين انسلخوا عن التنظيم، بيانَ خطئِ وخطأ المنهج الديني والسياسي للجماعة، ودورها في العبث بأمن المجتمعات واختراق الأنظمة السياسية، والتمدد بهذا السلوك الإجرامي عبر التنظيم الدولي إلى خارج حدود بلد المنشأ، التي أدركت خطرهم وكبحت نموهم ونشاطهم.

تلك الشهادات تنتهي إلى إثبات حقائق جوهرية حول فساد دينهم الذي يرفعون شعاراته، وينساب عبر خطابهم الديني والسياسي لتضليل الناس، فهم يستبيحون الآخرين ممن ليسوا في الإخوان، حلال لهم دمهم ومالهم، وعلى هذا الأساس كانت استباحة دم كل من خرج عليهم أو انشق عن الجماعة، ولهذا قاموا باغتيال المهندس السيد فايز حين خرج عنهم. وفي العمل العام قدموا تجربة فاشية واستحواذية في غاية السوء حيث تشهد تجربتهم في النقابات بذلك، ففي النقابات التي سيطروا عليها كان سلوكهم أنانياً؛ فلم يكن ينم عن ديمقراطية أو شفافية، فكانت الوظائف -حتى الصغيرة منها- التي شغلها لتحقيق أهدافهم، ويقول شاهد عليهم: لم نر في المجالس امرأة قبطية أو مناهضا في الرأي، وحدث أن تحالفوا مع الحزب الناصري ولكنهم لم يلبثوا أن اختلفوا معهم، وانقلب التحالف إلى صراع وعداوات⁽⁶⁾.

ما يظهر من الإخوان يختلف عمّا خُفي، وهم يجيدون ذلك بشكل منظم ودقيق، وذلك طبيعي من واقع سلوكهم منذ النشأة وحتى اللحظة الراهنة التي تجعلهم إحدى أكثر الحركات الباطنية خطراً على مستقبل الشعوب، وتحديدًا شعوب المنطقة، باعتبارها المستهدفة كنواة لإطلاق سمومهم الفكرية والعقدية وسط الشباب خصوصاً، وهم لا يتوقفون عن التمدد من خلال التنظيم الدولي الذي ينتهي بمرجعياته في الوصاية إلى المقطم، حيث المرشد العام الذي يمثل خليفة الجماعة، خاصة وأنهم يتبنون مشروع الخلافة الإسلامية مما يقتضي أن يتوسعوا بهيكلهم وتجنيدهم في كل المنطقة، فتلك الخلافة ظلت تمثل مرتكزا أساسيا في فكر جماعة الإخوان المسلمين، ويقول حسن البنا: إن على المسلمين التفكير في الخلافة ليس فقط

(6) التاريخ السري لجماعة الإخوان، مرجع سابق، ص 15.

منذ إغائها، بل منذ تحويلها عن مسارها الحقيقي.

تلك الرؤية هي التي أطلقت الجماعة في عدد من الدول، ومن بينها دول الخليج العربية التي ساعدتهم في بداية أمرها، قبل أن ينكشف لها سوء فكرها وأغراضها السياسية، فهم يجيدون إيذاء كل من وقف معهم فترة من الزمن، فقد ساعدتهم السعودية وقطر والكويت والكثير من الدول العربية، فما كان منهم إلا أن أسأؤوا إليهم وطعنوهم وانقلبوا عليهم، فكما كانوا يفعلون مع الأحزاب التي كانوا يتحالفون معها، فعلوا كذلك مع الدول التي أوتهم وأحسنّت وفادتهم⁽⁷⁾، لأنهم لا يستقرون على حلف أو تحالف، أو يبقون على عهد أو اتفاق، مما يعزز ازدواجية التنظيم ودور التنظيم السري في فرض إرادته وأجندته على ما يظهر على السطح.

التنظيم السري	حكومة الظل	
غير مشروع وغير متعارف عليه	مشروعة ومتعارف عليها	الشرعية القانونية
الانقضااض على الحكم	استلام الحكم تداولياً	الهدف
التحكم في السلطة	ترك السلطة	المآل
منع الآخرين من العمل بالطريقة ذاتها	السماح للمنافسين بعملها	الممارسة عند الاستلام
مجهولة	معروفة	البنية

تكشف القاعدة الفكرية لجماعة الإخوان عن مركزية كثيفة تتمحور في المؤسس حسن البناء، والمرشد بصورة عامة، ولا توجد فيها ما يشير إلى سلوكيات ديمقراطية أو من مبادئ الشورى، وذلك يفسر سر العلاقة القوية بين الإخوان وإيران التي تتخذ

(7) التاريخ السري لجماعة الإخوان، مرجع سابق، ص 12.

من ولاية الفقيه مبدأ في الحكم، وبالتالي تقاطعات وقواسم كثيرة مشتركة بحسب ما يأتي بيانه، غير أننا ندلل على تفرّد حسن البنا أو المرشد بالقرار في الجماعة، من خلال حيثيات اتهام قدمها خارجون من التنظيم بعد رفضهم لوصاية البنا المرشد، الذي حين انتقل بتنظيمه إلى القاهرة مغادراً الإسماعيلية اختلف معه كثيرون فيمن يخلفه، غير أنه أصرّ على فرض مرشحه، فأصدر الرفضون بياناً تضمن اتهامات عدة منها⁽⁸⁾:

- انتهاكه مبدأ الشورى، وافتقار الجمعية إلى حرية الرأي.

- أن الجمعية العمومية، ومجلس الأعيان، يطيعان البنا طاعة عمياء وكأنه إله يعبد.

- أنه يبعثر أموال الجمعية ويصرفها بشكل غير نظامي.

- أنه يتخذ من الجمعية ستاراً لنشاطات سرية مريبة.

علاقات الإخوان بإيران

الإعلان في 1979 عن أول دولة إسلامية في العالم الإسلامي، جاء بعد خمسين عاماً من إنشاء الإخوان المسلمين، وستين عاماً من انهيار الخلافة العثمانية، وكانت الجماعة من أوائل المرشحين بالثورة، على غرار كثير من التيارات والحركات التي رأت فيها أنموذجاً ملائماً للوصول إلى السلطة، وفي تلك الثورة الإسلامية في إيران تطورت الدولة على يد الخميني، الذي استطاع أن يخرج بالفكر الشيعي من مرحلة الانتظار السلبي إلى مرحلة بناء الدولة والانتظار الإيجابي، وتمكّن من التعاطي مع الواقع من خلال تطويره لولاية الفقيه سياسياً⁽⁹⁾.

(8) السيد، محمود الوزيري، الأسس الفكرية للإخوان المسلمين وتأثيرها في تطورات الشرق الأوسط، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2015، ص25.

(9) أحمد، يوسف، الإخوان المسلمون والثورة الإسلامية الإيرانية، بيت الحكمة للدراسات والاستشارات، 2012، ص8.

علاقة الإخوان بإيران يمكن استكشافها بصورة براغماتية واضحة من آخر مواقف الجماعة مع إيران، من خلال حادثة الاعتداء على البعثة الدبلوماسية السعودية التي حدثت في العاصمة الإيرانية طهران يوم 2 يناير (كانون الثاني) عام 2016، فتلك الحادثة تعيدنا إلى قوة علاقة الإخوان بإيران والوقوف معها بما يفسر الارتباط العميق بينهما، إذ كان المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين عمر التلمساني، كتب مقالاً في العدد (105) من مجلة «الدعوة» في يوليو (تموز) 1985 بعنوان (شيعية وسنة) قال فيه: إن «التقريب بين الشيعة والسنة واجب الفقهاء الآن (...) وبعيداً عن كل الخلافات السياسية بين الشيعة وغيرهم، فلا يزال الإخوان المسلمون حريصين كل الحرص على أن يقوم شيء من التقارب المحسوس بين المذاهب المختلفة في صفوف المسلمين»⁽¹⁰⁾.

إن الترابط العميق بين الجماعة وإيران يتفق مع طروحات البناء في دعوة جماعته وتأسيسها على أنها عالمية، فالدولة نقطة انطلاق نحو الدولة الإسلامية العالمية، التي تنتظم في إطارها جموع الأمة الإسلامية (دولة الأمة) والتي طالما حلم بها حسن البناء وكل من تولوا قيادة حركة الإخوان المسلمين⁽¹¹⁾، وذلك ما جعل الجماعة تنتشر في مختلف دول العالم ومن بينها إيران، التي لهم فيها «جماعة نشطة يترأسها عبدالرحمن بيراني، وعلاقتها ممتازة بالنظام الإيراني، بحسب المتخصص في شؤون الحركات الإسلامية أحمد بان، الذي يقول: بعد قيام ثورة 30 يونيو (حزيران) 2013 سمحت السلطات الإيرانية للإخوان الإيرانيين بالتظاهر في أحد أشهر ميادين طهران، رافعين شعار رابعة، ومنددين بالرئيس المصري عبدالفتاح السيسي»⁽¹²⁾.

إيران لها تقدير كبير لجماعة الإخوان، وذلك يفترض وجود تنسيق بين الطرفين، ويعني في الوقت ذاته وجود قواسم مشتركة وأوجه شبه بينهما، ففي إيران يتم تنظيم ندوات يطلق عليها «ندوة الصحوة الإسلامية» للتعبير عما بات يعرف

(10) محمد، برهومة، علاقة الإخوان المسلمين بإيران: تنسيق أمني وسياسي ودعم مالي، على الرابط التالي: <https://al-ain.com> تاريخ الدخول 29 نوفمبر (تشرين الثاني) 2016.

(11) الإخوان المسلمون والثورة الإسلامية الإيرانية، مرجع سابق، ص19.

(12) محمد، برهومة، علاقة الإخوان المسلمين بإيران: تنسيق أمني وسياسي ودعم مالي، مرجع سابق.

في العالم باسم الربيع العربي، وترى طهران أن الثورات العربية تستلهم أفكارها من ثورة إيران التي أسقطت محمد رضا بهلوي شاه، وبالرؤية العالمية ذاتها للدولة الإسلامية التي تجمع إيران بالإخوان، يؤكد علي أكبر ولايتي موقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية من الإخوان المسلمين، بقوله: «نحن والإخوان أصدقاء، ونقوم بدعمهم، وهم الأقرب إلينا عقائدياً بين الجماعات الإسلامية كافة»⁽¹³⁾.

المصالح الطائفية

تبدو المصالح الطائفية المشتركة بين الإخوان وإيران واضحة على أكثر من صعيد، وتكشف الأحداث طبيعة تلك العلاقة على نحو ما حدث في الهجوم على السفارة السعودية في طهران مطلع 2016؛ إذ تباينت مواقف جماعة الإخوان حول الأزمة بين المملكة العربية السعودية وإيران، ففي حين أعلنت الجماعة الإسلامية تضامنها بشكل كامل مع المملكة، انتقدت الجبهة السلفية موقف السعودية، واعتبرت أحكام الإعدام التي نفذتها وأدت إلى اعتداء السفارة، ظالمة، بينما صدر بيان منسوب لجماعة الإخوان وتم نشره في مواقع التواصل الاجتماعي قالت فيه: إن على الدول التي في ضفتي الخليج أن تهدأ، وفي البيان وردت جزئية رأى مراقبون أنها انتقاد من الجماعة المحظورة في السعودية للرياض دون انتقاد لإيران، نصت على «تلافي أي خطوات من شأنها أن تضيف المزيد من التردّي على الأوضاع»⁽¹⁴⁾.

تجاهلت جماعة الإخوان بجبهاتها المتصارعة على سلطة التنظيم تلك الأزمة، ولم تصدر جبهة الحرس القديم التي يقودها محمد عزت (القائم بأعمال مرشد الإخوان)، أو جبهة محمد كمال (عضو مكتب الإرشاد) أي بيانات، فيما قال أحمد رامي (القيادي الإخواني) في إحدى القنوات التابعة للجماعة: «يوجد حالة كبيرة من الاستقطاب بين السعودية وإيران، الذي له أبعاد إقليمية كثيرة نتيجة الخلاف بين السعودية وإيران والطموح الإيراني». وأضاف: «هناك مخاوف تُهدد وجود

(13) موقع العربية على الرابط التالي:

<https://www.alarabiya.net/ar>

تاريخ الدخول 29 نوفمبر (تشرين الثاني) 2016.

(14) صحيفة الشرق الأوسط، 7 يناير (كانون الثاني) 2016.

المملكة العربية السعودية بالشكل الجغرافي، فنحن الآن في آخر عهد الأسرة الحاكمة السعودية، جيل أبناء الأوائل، فنحن في مرحلة انتقالية في المملكة العربية السعودية، التي تواجه طموحاً إيرانياً وتدخلاً على أطرافها، سواء في سوريا أو اليمن، فكل هذه الأمور تُعقد الموقف أكثر»⁽¹⁵⁾.

واستمراراً لخط الجماعة الذي يتفق مع إيران ويتعارض مع مصالح دول الخليج، تظاهر عدد من أنصار جماعة الإخوان في مصر يوم الجمعة 27 مارس (آذار) 2015 ضد عاصفة الحزم ووصفوها بـ«ضربة العار»، ورفض إخوان مصر مشاركة القوات المصرية في عاصفة الحزم، فيما أيد حزب التجمع اليمني للإصلاح (الذراع السياسية للإخوان في اليمن) عاصفة الحزم، وهي حالة تصب في إطار مواقف التلون والتحول الذي لم يعد ينطلي على دول الخليج، طالما بقي المبدأ ثابتاً في معاداة هذه الدول، واستهدافها بمشروعات تخريبية راسخة في العقيدة السياسية بفكر الجماعة.

إخوان الخليج وتحولات المشهد

اتسعت المظلة التنظيمية لجماعة الإخوان خارج مصر، لتجند عضوية في دول عدة من بينها دول الخليج، وذلك يؤسس لها اختراقاً فاعلاً في الوسط الاجتماعي، والعمل على السيطرة التالية على أنظمة الحكم فيها، وفقاً لفقهِ الخلافة المستقر في أدبياتها وباطنها الحركي، دون اعتبار لسلامة مجتمعات هذه الدول وحمائتهم من ويلات الفتنة والطائفية والإرهاب.

استهدفت الجماعة المملكة العربية السعودية في مرحلة مبكرة من انطلاق نشاطها التنظيمي، وكان ذلك منذ عهد الملك عبدالعزيز إذ استغلت الجماعة حفاوة الملك بالعلماء من الدول العربية والإسلامية، فبادروا إلى التوجه إلى السعودية، حيث التقى حسن البنا الملك عبدالعزيز عام 1936، ولم يتردد الضيف في استغلال الفرصة ليطلب إنشاء فرع لجماعة الإخوان المسلمين في السعودية، فكان جواب الملك

(15) صحيفة اليوم السابع، 4 يناير (كانون الثاني) 2016.

عبدالعزیز ذکیاً ودبلوماسياً حين رفض الطلب قائلاً للبنا: «كلنا إخوان مسلمون»، ولم يتمكن تنظيم الإخوان المسلمين من فتح فرع له في المملكة العربية السعودية. ورفضت كل الطلبات التي قدمت من قيادات الإخوان بهذا الشأن⁽¹⁶⁾.

على الرغم من أن العلاقة استمرت بالقيادة السعودية وكانت حسنة نسبياً، فإن ذلك توقف مع غلبة مبدأ التحول والازدواج والمصالح الذاتية، فمع ثورة اليمن عام 1948 توترت العلاقة، إذ لم يتفق الإخوان مع توجهات الملك عبدالعزیز الذي أهالوا المديح عليه، والإعجاب بتجربته في الحكم وتوحيد بلاده، لينقلبوا عليه لأنه وقف ضد ثورة اليمن، ولم يترددوا في إعلان نياتهم الحقيقية حينما ادعوا أن «الإخوان يقيمون الدول ويسقطونها»⁽¹⁷⁾.

منذ ذلك الوقت أدركت القيادة السعودية خطر الجماعة وتقلبها بحسب ما تبطنه، وعلى الرغم من ذلك تعاملت مع الجماعة كأفراد بعيداً عن التنظيم، وأحسنّت معاملتهم فاستقر كثير منهم في البلاد. ولأنها تجيد استغلال الفرص، فقد استغلت الجماعة الظروف السياسية لحرب اليمن في الستينيات الميلادية، وكان ذلك في فترة حكم الملك فيصل بن عبدالعزیز (ملك السعودية خلال الفترة بين 1964-1975)، إذ في تلك الفترة شهدت علاقة الملك فيصل والرئيس المصري جمال عبدالناصر توتراً، أفادت منه الجماعة غير المتصالحة مع رئيس دولتها الذي حاولت اغتياله، فلبست ثوب المظلومية، مع مزيج من رغبة سياسية في الضغط بين قيادتي البلدين، مما جعلهم يغرسون الغرس الإخواني التنظيمي في الديار السعودية بصورة أكثر وضوحاً من خلال عدد من الأتباع الذين تم تجنيدهم.

ذلك الفكر المتمدّد يتوافق مع تعاليم وتوجيهات المرشد الأول حسن البنا الذي ذكر في رسائله: «الإخوان المسلمون لا يختصون بهذه الدعوة قطراً من الأقطار الإسلامية»⁽¹⁸⁾، أي إنهم يخططون ويسعون للانتشار - بحسب مقتضيات التنظيم

(16) مجموعة باحثين، الإخوان المسلمون في الخليج، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، ط4، 2011، ص20-21.

(17) محمود عبدالحليم، الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، دار الدعوة، الإسكندرية، ج1، 2004، ص453.

(18) مجموعة رسائل حسن البنا، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص52.

الدولي- سعيًا وراء الخلافة، وذلك انتقل بهم إلى بقية دول الخليج، حيث بدأ ظهور جماعات الإسلام السياسي في الكويت مع بروز جماعة الإصلاح، التي أُرست اللبنة الأولى لجماعة الإخوان في الكويت عام 1962⁽¹⁹⁾، التي أصبحت تتخذ مسميات عدة لتمرر أجندتها وتتحول مع الأوضاع السياسية، وبعد الحرب الخليجية الثانية، انتهز الإخوان فرصة القبول السياسي الذي حظوا به، والتقارب بينهم وبين النظام الحاكم في الكويت، ليقوموا بتأسيس «الحركة الدستورية الإسلامية (حدس)» التي مثّلت الجناح السياسي للإخوان المسلمين في الكويت.

كان الحال في البحرين أيسر في إيجاد موطنٍ قدم، وذلك منذ لقاء عبد الرحمن الجودر بحسن البنا، ولأن المجتمع البحريني كان ميالاً للناصرية والقومية فقد تباطأ نمو الفكر الإخواني، غير أنه استعاد حضوره في الوسط البحريني مستفيداً من تراجع التيارات اليسارية والقومية، وانتصار الثورة الخمينية الإيرانية، والغزو السوفيتي لأفغانستان 1979، إلى جانب ثراء القيادات الأولى من الإخوان في البحرين مما أسهم في عمليات الاستقطاب والتجنيد، وبقي الحال متنامياً أو عند مستوى متقدم عن بعض دول الخليج الأخرى، إلى أن تم تأسيس المنبر الوطني الإسلامي في 2001، ممثلاً للجماعة في العملية السياسية بالبلاد⁽²⁰⁾.

وفي سلطنة عمان وجدت الجماعة انفتاحاً، حيث استطاعت استقطاب منتمين للمذهب الإباضي والمذاهب السنية الأربعة، إضافة إلى آخرين من تيار حركة الإمامة، وبذلك استطاعت الجماعة تغطية دول الخليج بحثاً عن وسائل للسيطرة على المجتمع وأجهزته، مما يؤهلها لاختراق السلطة السياسية، غير أنه كعادة الجماعة، من منظورها الباطني، لم يكن لها أن تنجح في اختبارات الوطنية والثقة في طروحاتها الدينية والقومية، فكان أن سقطت في أكثر من اختبار وتحد واجه دول وشعوب المنطقة، لتظهر هذه الجماعة تقلبات وتحولات وتذبذباً كثيفاً في المواقف يؤكد عدم معقولية تأسيسها وسوء تقديراتها السياسية والدينية، وقد أعلنت الحكومة العُمانية عام 1994 اعتقال مجموعة من المعارضين، من ذوي التوجه الإسلامي المتشدد، وقد

(19) الإخوان المسلمون في الخليج، مرجع سابق، ص 212.

(20) الإخوان المسلمون في الخليج، مرجع سابق، ص 140.

أشار حينها أحد المسؤولين إلى أن أعضاء التنظيم السري المحظور، تأثروا بمنظمة عالمية لها فروع في دول عربية، وأن هذه المنظمة لها وجود في دول خليجية. وقد فهم من تصريحاته -آنذاك- أن المقصود من قوله: بـ«المنظمة العالمية» هو جماعة الإخوان المسلمين⁽²¹⁾.

أثبت الإخوان على مر تاريخ علاقاتهم بدول الخليج، أنهم غير جديرين بالثقة ولا يتمتعون بالغطاء الأخلاقي الذي يجعلهم شركاء أو حلفاء، سواء داخل الوطن الواحد أو في الإطار الإسلامي، لأن فكرتهم عن الخلافة تجعلهم ينحازون إلى طروحات إقصائية متطرفة، وهم في هذا الإطار كشفوا عن أنفسهم في كثير من الوقائع والأحداث، فبعد حرب الخليج الثانية عام 1991 كانت لهم مواقفهم الفادرة بالسعودية ودول الخليج في وقت ساعدتهم فيه، وأحسنت إليهم، وسبق أن قال الأمير نايف بن عبدالعزيز، في لقاء له مع صحيفة «السياسة» الكويتية⁽²²⁾: «أقولها من دون تردد: إن مشكلاتنا وإفرازاتنا كلها، وسمها كما شئت، جاءت من الإخوان المسلمين. وأقول بحكم مسؤوليتي: إن الإخوان المسلمين لما اشتدت عليهم الأمور وعلقت لهم المشانق في دولهم لجؤوا إلى المملكة، وتحملتهم وصانتهم وحفظت حياتهم بعد الله، وحفظت كرامتهم ومحارمهم وجعلتهم آمنين. إخواننا في الدول العربية الأخرى قبلوا بالوضع، وقالوا: إنه لا يجب أن يتحركوا من المملكة. استضافناهم وهذا واجب وحسنة. بعد بقائهم لسنوات بين ظهرانينا وجدنا أنهم يطلبون العمل فأوجدنا لهم السبل. ففيهم مدرسون وعمداء فتحنا أمامهم أبواب المدارس، وفتحنا لهم الجامعات، ولكن للأسف لم ينسوا ارتباطاتهم السابقة، فأخذوا يجندون الناس وينشئون التيارات، وأصبحوا ضد المملكة والله يقول: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)».

ولما لم يكن من بد لكبح اختراق الجماعة لأمن المجتمعات والأوطان، اتخذت عدد من دول الخليج قرارات حاسمة بالتعامل مع الجماعة كمنظمة إرهابية لا تقل خطراً عن الجماعات الإرهابية، حيث اعتمدت السعودية، في 7 مارس (آذار) 2014، قائمة للجماعات الإرهابية، تضم «داعش» والنصرة والإخوان وحزب الله السعودي

(21) نفسه، ص177.

(22) صحيفة السياسة الكويتية، 28 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002.

والحوثيين، وتنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وتنظيم القاعدة في اليمن، وتنظيم القاعدة في العراق.

وقالت وزارة الداخلية في بيان لها: إن تلك القائمة وضعت بعد تشكيل لجنة من وزارة الداخلية، ووزارة الخارجية، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ووزارة العدل، وديوان المظالم، وهيئة التحقيق والادعاء العام، تكون مهمتها إعداد قائمة -تحدث دورياً- بالتيارات والجماعات، وتضمن تجريم المشاركة في أعمال قتالية خارج المملكة، أو الانتماء للتيارات أو الجماعات -وما في حكمها- سواء كانت دينية أو فكرية متطرفة أو المصنفة كمنظمات إرهابية داخليا أو إقليمياً أو دولياً، أو تأييدها أو تبني فكرها أو منهجها بأي صورة كانت⁽²³⁾.

الامتداد التركي

تتفق طروحات الإخوان حول الخلافة واستقرارها في الفكر الإخواني مع الحالة التركية بما فيها من أحزاب وتنظيمات إسلامية، وذلك أمر بدأ منذ إطلاق حسن البنا لجماعته، إذ كان له موقف محدد من الخلافة الإسلامية وضرورة عودتها إلى تركيا مرة أخرى، حيث يقول: «يعتقد الإخوان أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، كما أنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها والاهتمام بشأنها، والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله، حتى إن صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قدموا النظر في شأنها في سقيفة بني ساعدة على النظر في تجهيز النبي (صلى الله عليه وسلم) ودفنه؛ ولذلك فإن (الإخوان المسلمون) يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس منهاجهم، وإن ذلك يحتاج لكثير من التمهيدات التي لا بد منها؛ من تعاون ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الإسلامية كلها، ثم تكوين الأحلاف والمعاهدات، وعقد المؤتمرات بين هذه الدول حتى ينصب إمام وخليفة للمسلمين، يجمع شمل المسلمين

(23) موقع العربية نت على الرابط التالي:

<https://www.alarabiya.net/ar>

تاريخ الدخول 30 نوفمبر (تشرين الثاني) 2016.

ويحرر الأراضي المحتلة»⁽²⁴⁾.

تركيا الحالية بقيادة رجب طيب أردوغان تعتبر امتداداً إخوانياً للجماعة والتنظيم الدولي، من خلال أدبيات وأسس حزب العدالة والتنمية، وفي الواقع لم تختلف المرتكزات الفكرية لجماعة الإخوان المسلمين في تركيا عن أفكار الجماعة العامة، وإن كانت لتركيا خصوصية محددة في أنها قامت بالعمل والتحليل على أنظمة الدولة التركية للوصول إلى ممارسة العمل السياسي من خلال الشعارات والقضايا الإسلامية وتمثلت فيما يلي:

- إقامة حكومة دينية.

- السيطرة على الدولة من خلال الانتخابات (الحقائب الوزارية).

- الإسلام نظام شامل متكامل بذاته، وهو السبيل النهائي للحياة بكل جوانبها، وقابل للتطبيق في كل مكان وزمان من خلال الدعوة والتربية.

- جماعة الإخوان المسلمين تلتزم بفريضة الجهاد، إذا ما توافرت شروطها الموجبة.

- يتحقق الدور الحضاري من خلال السيادة والشهادة والأستاذية في العالم⁽²⁵⁾.

القيادة التركية تنفي صلتها بالإخوان، غير أن الواقع يكذب ذلك، فمنذ أن بدأت حركة المهندس ورئيس الوزراء الإسلامي نجم الدين أربكان في نهاية الستينيات، أظهرت تعاطفاً مع مدرسة الإخوان المسلمين، وهو أستاذ أردوغان، ولذلك فإن حجم

(24) ويكيبيديا الإخوان المسلمون على الرابط التالي:

<http://www.ikhwanwiki.com/>

تاريخ الدخول 30 نوفمبر (تشرين الثاني) 2016.

(25) بوابة الحركات الإسلامية على الرابط التالي:

<http://www.islamist-movements.com/>

تاريخ الدخول 30 نوفمبر (تشرين الثاني) 2016.

العلاقات بين تركيا والجماعة زادت وازدهرت في عهد الإخوان - يونيو (حزيران) 2012 وحتى يونيو (حزيران) 2013 - مما يعني أنّ ثمة علاقة وطيدة بينهما⁽²⁶⁾.

ظلت الجماعة بجانب تركيا التي يتزعمها أردوغان بولاء كبير، ثبت في العديد من المواقف والأحداث، فحين أعلنت تركيا عن الاتفاق لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل بعد قطيعة استمرت (6) سنوات، رحب الإخوان في بيان رسمي باتفاقية التطبيع التي أجرتها السلطات التركية مع إسرائيل، لكنها أطلقت عليها مسمى آخر وهو «مساعي الدولة التركية لتخفيف الحصار عن غزة» نظرا لأن اتفاقية تطبيع العلاقات بين تركيا وإسرائيل تتضمن استكمال مؤسسة الإسكان التركية مشاريعها في غزة، وتسريع إنشاء المنطقة الصناعية في منطقة جنين. وقالت في نهاية البيان: «إن أي جهد لفك الحصار عن غزة هو جهد مشكور، ونتطلع إلى مزيد من العمل من أجل إنهاء الحصار بشكل كامل، واسترداد الحقوق الفلسطينية كافة»⁽²⁷⁾.

الأمر ذاته من التناقض وتقلب المواقف حدث في الحالة السورية، إذ إنه بالرغم من صدور بيانات من جماعة الإخوان للتنديد بالتدخل الروسي في سوريا، فقد باركت بيانات الجماعة وتصريحات قادتها انتهاك تركيا للسيادة السورية، مبررة التدخل التركي بأنه جاء إما للحفاظ على وحدة الأراضي التركية، أو لتفويت الفرصة على الولايات المتحدة التي تحيك مؤامرة للرئيس أردوغان، وكتب عمرو دراج رئيس المكتب السياسي للإخوان المسلمين في الخارج تغريدة جاء فيها: «التدخل التركي في سوريا هدفه الحفاظ على وحدة سوريا، ومهاجمة الوحدات الكردية»⁽²⁸⁾، مما يضعنا أمام مزيد من الحقائق التي تكشف خطر الجماعة على مستقبل شعوب المنطقة من خلال تباين المواقف، والعمل الذي يزايد على استقرارها تحقيقاً لمصالح ذاتية ضيقة.

(26) ساسة بوست على الرابط التالي:

<http://www.sasapost.com/why-turkey-supports-brotherhood/>

تاريخ الدخول 30 نوفمبر (تشرين الثاني) 2016.

(27) صحيفة اليوم السابع، 28 يونيو (حزيران) 2016.

(28) موقع روسيا الآن على الرابط التالي:

<http://russia-now.com/ar/>

تاريخ الدخول 30 نوفمبر (تشرين الثاني) 2016.

الخاتمة

تشكل علاقة جماعة الإخوان المسلمين، بكل فروعها الدولية، بالجمهورية الإسلامية الإيرانية تهديداً حقيقياً لأمن المجتمعات ودولها وحكوماتها، خصوصاً في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، لأن البعد الطائفي الذي يتم توظيفه من أجل عمليات الاختراق وتأسيس الفوضى واستغلال الدين بصورة مشوهة من خلال الأجندة الخفية يستدعي التوصية بالآتي:

- الاستمرار في كبح نمو فكر جماعة الإخوان، وهدم أي مؤسسات داعمة لنشر الفكر الإخواني في دول الخليج، وتضييق العلاقات بالدولة الإيرانية، وتنوير الرأي العام بحقيقة العلاقة بين الطرفين فيما يتعارض مع أمن وسلامة المجتمعات.

- تنسيق جهود الحكومات الخليجية لمكافحة تداعيات العلاقة الطائفية القوية بين جماعة الإخوان والدولة الإيرانية، وتنفيذ برامج تنويرية دورية لكشف الممارسات المضللة لهما في الأوساط الاجتماعية.

- اضطلاع المؤسسات الفكرية والمدنية بدول الخليج بأدوارها المعرفية والعلمية الفكرية لتقديم الإسلام المعتدل، القائم على التسامح والتعايش والتقارب بين المذاهب والأديان، وإقصاء الطائفيين وأصحاب الأجندة الخفية من المشهد العام، باعتبارهم خطراً على الحق الإنساني وتعايش المجتمعات.